

مقابلة مع الفيلسوف الروماني إ.م. شيريون

أبراهام: د. سالم حميّش

ورقة تعريف

ولد إ.م. شيريون سنة 1911 ببرازيلناري (في رومانيا). وهو ابن لراهب أورثوذكسي. من 1920 إلى 1928 كان تلميذاً في ثانوية سبيبو، ثم طالباً في كلية الفلسفة ببوخارست من 1929 إلى 1932. حصل على دبلوم جامعي حول «برجسون» وألف خمسة كتب باللغة الرومانية. وبعد حصوله على منحة من المعهد الفرنسي ببوخارست، اقى إلى باريس سنة 1937 حيث لا زال يعيش إلى الآن، من دون أن يمارس مهنة محددة، اللهم إلا مهنة الكتابة التي يبني عنها صفة المهنية. وقد نشر بالفرنسية الأعمال التالية:

دار جاليهار

Precis de Décomposition (1949)

ختصر التفاصح

(Syllogismes de l'Amertume (1952)

اقيسة المراة

La Tentation d'Exister (1956)

اغراء الوجود

Histoire et Utopie (1960)

التاريخ والطوري

La Chute danx le temps (1964)

السقوط في الزمان

Le Mauvais Démurge (1969)

الشيطان الرجيم

De L'inconvénient d'être né (1973)

حول عائق ان نولد

Ecartlement (1979)

تمرق

Essai sur la pensée réactionnaire (1977)

في الفكر الرجعي

دار فاتامورچانا

فاليري امام اصنامه

Valéry face à ses idoles (1970)

□ نريد ان نشير في كتاباتك الى الشذرات الاكثر قوة وجذباً، فنأخذ في الاشارة اليها كلها. قد نقول عنك ما تقوله عن بوذا وشوبنور باننا لا نقرأ «من دون ان نغض الوردي»...

إ.م. شيرون: ما تعنيه قصة مغض الوردي هو ان هذين المفكرين اللذين تذكرهما يذهبان بالتجربة الانسانية الى أبعادها القصوى، وهنا يحدث رد فعل، أي نوع من الدفاع عن الذات. فبدل مغض السواد أو الانهيار (إذ الرؤيا البوذية، كما الشأن عند شوبنور، موهنة، كما يعتقد)، بدل الغور في اليأس، نعرف نوعاً من النشوة المتولدة عن التأملات الصارمة حول الحياة وكل شيء. ما نسميه تشاواماً ان هو الا طريقة تعين على الحياة... . قرأت كثيرةً في الادب المتشائم واؤكد لك انه ساعدني على أن أحيا بدل أن أنهار. وبالعكس، إنها الكتب المتفائلة حتى الغباء هي التي تعنى على الحزن والوهن. ولربما في هذا الجواب تكمن عناصر ما تسمى بالقوة والجذب في كتاباتي.

□ الا تجد لذة ما في سعيك الى اقامة جيناليوجيا التدهور والتفسخ؟

شيرون: لذة؟ لا، بل قل مجرد نشوة. الا ان سؤالك دقيق جداً، إذ إن كل فضح تصحبه نشوة، وكل نفي هو مغامرة. الذين يعيشون على كوني مبطلاً، أدعوهم إلى أن يحاولوا فقط، هم أيضاً، أن ينفوا، ليدركوا أن الأمر ليس هائلاً ولا من البساطة كما يتصورون.

في كل ممارسة فكرية او عملية حادة تحصل بالطبع نشوة ما، والا لما حصل النفي نفسه. لو كان النفي قبيحاً ومنفراً لأعرض عنه الناس وتتجنبه.

□ نصوصك تطفع بالاشاؤم او قل بسوء استقبال للحياة. فما الداعي الى تبرير مناخها الانهيارى الذي يقوم في تلك النصوص كقيمة او قاعدة تتأكد بضدتها نفسه؟

شيرون: كل منا مقدر لرؤيا في الوجود. لكن يلزم ان نضيف ان في كل امر درجات حرارة وكثافة. وما هو اساسي هو التوتر والديمومة. منذ شبابي، لا أرى الأشياء إلا كما أصفها في كتاباتي، ولو أن هذه الكتابات لا تعبّر عن كل شيء بحكم أن لا أكتب إلا حينما أكون حقاً تحت تأثير ضغط داخلي. وهذا ما يفسّر طابعها الرتيب الأحادي الوتر. فتلك الكتابات ليست عندي سوى محاولات للتتحرر مما يختنقني وينقل كاهلي. إنني لا أكتب للتعبير عن فكرة أو تحديد موقف، فهذا آخر هموي، وإنما فقط من أجل قصد استشفائي. ويتوجّب على الاعتراف بأنّ كتبي قد أعانتني كثيراً على الحياة، بما أنها كانت مستودع كل ما سعيت إلى التخلص منه. وعلى العموم، هذا السعي إلى الشفاء قد حالعني فيه إلى حد ما نوع من التوفيق بحجة أنني لم أقدم على إلغاء نفسي بنفسي. وما أغاثني حقاً هو كوني لم أسترّ أحوالى ولم أحاول تجميلها، الغـ. لهذا، نظريّتي في الكتابة ليست أدبية، بل استشفائية... . الكتابة من أجل الكتابة، لا معنى لها عندي. يجب أن نكتب لكي تبحث الذات في تقديم الدعم لنفسها، ما دام أن هذا الدعم لا يمكن أن يأتيها من غيرها. وهنا قد تكمن مهمّة الكاتب الحقيقة. أما الإنسان المكتمل الازان فما حاجته إلى الكتابة، وماذا يمكنه أن يقول؟!

يلزم الاعتراف بأن هذه النظرية ذاتية جداً. فلو قدر لي أن أكتب مستقبلاً كتاباً آخر لسميته: «هذا الأنـ الملعون». وأساساً، كل ما كتبته يدور حول هذا الموضوع... . غير أنه لا يحسن الاعتقاد بأن كل ما أكتبه ذاتي

فحسب. إن الأحساس والصوات التي أصفها لمن شائناً أن تعيش من طرف كل الناس، وبالتالي أن تتجاوز الدائرة الفردية الحالصة. أعتقد أننا لا نكون شموليين إلا بالذهاب إلى عمق الأنما. فقدر ما ننكب على الذات، بقدر ما نعمق ونتجاوز ذواتنا. قد تضحو الصرخة الأكثر فردية هي الصرخة الأكثر شمولية. وبالتالي، لا يلزم إرجاع الأحوال التي أكتب عنها إلى مادة ذاتية صرفة عديمة الدلالة والموضوعية. إننا نتعلم الشيء الكثير من أدب الاعتراف، وربما أكثر مما نتعلم من وصف نكرة لا شخصي. لهذا أحب كل ما هو مباشر وكل ما هو شخصي. والآن . وليس بسبب تقدمي في السن - أقرأ بالخصوص السير الذاتية، والبيوغرافيات أيضاً، من أجل الأشهادات. وما يهمني فيها هو الإنسان مع نفسه والمسألة الباطنية... .

□ لو كان لك الاختيار بين هيجل وكيركجورد لوقفت إلى جانب هذا الأخير... .

شيهرون: صحيح ولا شك، عندي أن هيجل فيلسوف ضخم، ولكن هذه قضية أخرى، اتفق مع كيركجورد حينما يعرف يوسف كمفكر خصوصي. ولشد ما تغريني بهذه العبارة، لاسماً وأني اعتبر نفسي تلميذاً بعيداً ليوسف... .

□ لا يصح أذن دفع هيجل إلى الوجودية، اعتقاداً على فصل «الوعي الشقي» في ظاهرية الروح.

شيهرون: من الممكن دفع هيجل إلى جانب الوجودية، بما أنه عالج قضايا كثيرة جداً، ونستطيع أن نجد عنده ما نريد. إلا أن نهجه الفكري الذي يلزم اعتباره يجعل منه فيلسوفاً ذا اتجاه مثالي مطلق، ما أبعده عن مفكرين كباسكال ونيتشه!

□ إذن يكاد هيجل يفقد كل فائدة في طريقك الفكري؟

شيهرون: ما عدا أيام كنت طالباً في بوخارست، حيث قمت بعمل أطروحة حول النظرية الجمالية عند هيجل. لقد قمت بدراسات فلسفية جديدة دفعتني إلى الاهتمام بالأنساق الميتافيزيقية الكبرى. لكن مجرد ما انتهيت من تلك الدراسات شعرت بعدم جدواها بالنسبة إلى أنا. واستثنى طبعاً المجال الذهني الحالص. فباسكال ويوف يوسف أفاداني أكثر بكثير من الميتافيزيقاً الألمانية كلها. أما الرومانسية الألمانية على العكس فقد علمتني الشيء الكثير. وإذا فبحكم مزاجي أظل معارضًا للبناءات النسقية الكبرى... .

□ التمازن المتى يظهر عندك من فرط الذكاء والوعي. فعندما ينعدم فيه هذا الشرط مع آخرين،
ألا يصير مجرد مزايدة، بل احتيال؟

شيهرون: إن قلياً استعمل كلمة تمازن التي تتحول عند البعض إلى مقوله تصنيفية اعتباطية. ما هناك هو فكر يندفع من دون أن يتم بالتالي العملية. بعد هذا يقال لك بأن ما تكتبه يدفع الناس إلى اليأس أو إلى الانتحار. لكن حينما أكتب، لا أفكر في العواقب والمضاعفات. ورغم أن طريقي في النظر إلى الأشياء قد تزلّم، إلا أنّي أؤكد لك أن كثيراً من قرأوا لي استمدوا من كتاباتي قوة ما وحى شيئاً من الشجاعة. لقد اهتمت بكوني أنصار الانتحار. وموقفي هو فقط أننا لا نستطيع أن نعيش إلا بفكرة الانتحار، لأن الحياة إذا ما حللت بها عن كثب تتفسخ وتتناثر ولا تعقل. غير أن فكرة إمكانية التخلص منها وتطليقها متى شئنا هي فكرة منقذة. وبالتالي، فكرة الانتحار، بدل أن توهنكم وتتلفلكم، فإنها تنقذكم. ومن دون تلك الفكرة لكنت دوماً مقبلًا على قتل نفسي. خلافاً لما يعتقد،

تسم فكرة الانتحار بطاقة محفزة تعطي للمرء حق تقرير المصير أمام تداعي الواقع وخداعاته. عيب المسيحية كان هو الطعن في تلك الفكرة. وهذا ما فعلته كل الديانات، بما فيها البوذية. أما أنا فإني أؤيد نوعاً من بيادغوجيا الانتحار، يمكن التحدث عنها في المدارس من أجل قصد رَدْعِيّ، ولكن ليس أبداً بعبارات الجرم والتذنب.

□ خارج أو فوق ثنائية التفاؤل والشاؤم يظهر أنك في نصوصك تكلف نفسك بهمة «الترقيع في ما يستحيل علاجه»، ولكن على حساب أي إقصاءات وأي إلغاءات؟ وبعبارة أخرى ماذا تفعل بأفراح الوجود، كبيرة كانت أم صغيرة؟ ما مصدر الأمل عندك؟

شيرون: مشكل الإعراض أو التخلّي له طابع جدّ معقد. لكن ما يمكن أن أقوله هو أنني تباهيت طويلاً بكوني بوذياً. إلا أنّي أدركت بعد فترة ما وجه الرزيف في ادعائي، بما أني كنت، كباقي جمهرة الناس، عاجزاً عن الإعراض والعدول، وبالتالي عن أن أكون بوذياً. فالحضارة الغربية التي أتمنى إليها جزئياً تبطل كل قدرة على الزهد في الأشياء، وذلك بسبب تفشي وسواس الأنما الذي تبحث البوذية بالضبط عن تجاوزه، أو قل تحطيمه. في فرنسا والمانيا صارت البوذية موضة بحيث يدعى الناس انتقامهم إليها من غير أن يغير ذلك من نمط حياتهم ومجراها. بيد أن البوذية ليست شيئاً إن كانت لا تعيش. فيمكن إعمال الغش والتحليل مع المسيحية، ولكن ليس مع الفلسفة والتجربة البوذيتين... لإنجاحه إذن عن سؤالك أقول إني وأنا أمارس «الترقيع في العضال»، لا أستطيع أن أتخلّي أو أن أمارس الزهد حقاً.

□ بالنسبة بخيلك الذي طعن في كتابك أقىحة المرأة، هل انت شيطان رجم؟
شيرون: لنقل بأن في الجيل الذي عاش عبادة سارتر لم يكن لي أي وجود فعلي. ففي الأوساط الثقافية التي كانت متاخرة بنظرية الالتزام ولا تؤمن إلا بالتاريخ والدياليكتيك، لم يكن لي وزن يذكر...

□ ومع ذلك فإن ذلك الجيل قد عرف «الشعور التراجيدي بالحياة»، أو على الأقل الحرب والثالوثية!

شيرون: نعم، ولكن كل ذلك لم ينفعهم من الاعتقاد في التاريخ ولا من الاستمرار في القول بغايته ومعناه... وبالتالي، كل ما كنت أكتب في تلك الحقبة كان يجد معرفة تهويات عاطلة، إن لم أقل عثيبة. لم تأخذ كتاباتي في الظهور إلا حينما دخلنا في زمن خيبة تاريخية كبرى، تتعدى نطاق المسألة السياسية الصرف، المتعلقة بالماركسية؛ زمن بدأنا نسيء فيه الثقة بالتاريخ نفسه، أي بهذا المأزق اللامتناهي. فكون التاريخ له مجرّد لا يدل على أن له معنى أو عبراً، كما تدعى الماركسية. وفي هذا المقام، رغم أنني لست مسيحيّاً، أفضل كثيراً الرؤيا المسيحية التي ترى معنى التاريخ في «يوم الحساب»، وتذهب إلى أن أمير العالم هو الشيطان، وأن المسيح منفذ عاجز عن تغيير مجرى التاريخ أو القضاء على الشر في الدنيا. ويظهر أن الأشياء كما هي وكما نعيشها تعطي الحق لتلك الرؤيا التراجيدية...

□ بخصوص حياتك الثقافية نقرأ مثلاً في تقديم كتابك مختصر التفسخ: أنك كنت في البداية برجسونياً. فهل قمت بتحولك إلى نيشنه بفضل برجسون أم ضدّه؟

شيرون: لا هذا الاختلال ولا ذاك. برجسون الذي أعددت حوله رسالة لنيل دبلوم لم يكن موضوع عشقني ولم

أكُن بالتألِي بحاجةٍ إِلَيْهِ للتعرُّف على نيتِشِه.

□ أَمَا هَذَا الْآخِر فَقَدْ كَانَ لَهُ عِنْدَكَ شَانٌ كَبِيرٌ؟

شِيرُون: نعم، ولكن كَاتِبٌ أَكْثَر مِنْ كَفِيلِسُوفٍ. أَهْمَنِي فِيهِ جَانِبُهُ كَأَخْلَاقِي مَتَأْثِرٌ بِالْفَرْنَسِينِ، وَكَذَلِكَ أَسْلوبُهُ
الْعَدَوَانِي وَنِبْرَةُ فَكْرِهِ التَّرَاجِيدِيَّةِ. إِلَّا أَنِّي أَعْرَضُ عَنْ كَبِيرَائِهِ الْمُفْرَطُ الْأَخْرَقُ الَّذِي يَطْبَعُ انْفَجَارَاهُ الْهَادِيَّةِ التَّبَشِيرِيَّةِ.
هُنَاكَ نَاقِدٌ قَالَ إِنْ مَهْمَةَ نِيتشِهِ كَمْنَتَ فِي تَجاوزِ شُونِهَاوِرِ، وَأَنِّي لَا أَبْحَثُ، أَنَا، إِلَّا عَنِ الْعُودَةِ إِلَى هَذَا الْآخِرِ.
وَهَذَا صَحِيقٌ بَعْنَيْ ما، غَيْرُ أَنَّ الْمُؤْلِفَ الَّذِي أَثْرَ فِيَ أَكْثَرِ مِنْ سَوَاهُ هُوَ دِيْسْتُوْفِيسْكِيُّ.

□ وَكَذَلِكَ الْأَدَبُ الصَّوْفِيُّ! فَعِنْدَ قِرَاءَةِ نِصْوَصَكَ، تَبَيَّنَ أَنَّنَا بِحُضُورِ صَوْفِيِّ مُلْحَدِ (Athée).

شِيرُون: حَقًا، إِنِّي صَوْفِيٌّ فَاشِلٌ (Rateé)!

□ قَلْتَ: مُلْحَدٌ.

شِيرُون: إِنْ شِئْتَ، فَأَنَا كَلَامَاهَا مَعًا. حِينَ كَانَ عُمْرِي سَتَّةَ وَعِشْرِينَ عَامًا، كَتَبْتُ مُؤْلَفًا بِالرُّومَانِيَّةِ حَوْلَ
الْمُتَصَوِّفَةِ وَالْقَدَاسَةِ، وَهُوَ خَلْيَطٌ غَرِيبٌ مُضْلِلٌ وَنَتْاجٌ تَجَرِيَّةٌ صَوْفِيَّةٌ فَاشِلَةٌ كَانَ عَلَيَّ بَعْدَهَا إِمَّا أَنْ أَذْهَبَ إِلَى دِيرٍ أَوْ
أَكُونَ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْآنَ... وَفِي ذَلِكَ الْعَهْدِ كَنْتُ جَدًّا مَتَأْثِرًا بِالْمُتَصَوِّفَةِ الْأَلمَانِيَّةِ، وَأَيْضًا بِالشِّعْرَاءِ الْأَلمَانِيِّينِ، وَخَصْوصًا
بِرِيلِكَ صَاحِبِ كِتَابِ «اعْتِرَافَاتٍ» أَثْرَ فِيَ كَثِيرًا، وَهُوَ دَفَّاتِرُ مَالَتْ لَوْرِيَدِسْ بِرِيجُ، وَبِدِأْ هَكُذا، مَتَحَدِّثًا عَنْ
بَارِيسِ: «هَا هُنَا إِذْنَ يَأْتِي النَّاسُ لِيُعِيشُوا؟ قَدْ أَمْيَلَ بِالْأَحْرَى إِلَى القُولِ بِأَنْتَنَا غَوْتُ هُنَا». وَبَعْدَ مُجْبِيَّتِي إِلَى بَارِيسِ
سَنَةِ 1937، نَشَرَتْ مَقْلَالًا عَنِ الْمُؤْلِفِ الْمُذَكُورِ فِي جَرِيَّةِ رُومَانِيَّةٍ حِيثُ قَاسَمَتْ رِيلِكَ نَظَرَتِهِ الْمَأْكِيَّةِ الْيَائِسَةِ عَنْ
بَارِيسِ. وَبِالْطَّبِيعِ فَقَدْ أَثَارَ مَقْلَالِي غَضْبَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ.

أَرْجَعَ إِلَى سُؤَالِكَ لِأَكْرَرِ الْاعْتِرَاضِ نَفْسَهُ الَّذِي عَبَرَتْ عَنْهُ لَنَاقِدُ سُوِسِرِيِّ كَتَبْ ذَاتِ يَوْمٍ أَنَّ مَؤْلَفَاتِي كُلُّهَا
مُتَصَوِّفَةُ، وَأَوْكَدَ أَنِّي لَسْتُ مِنَ الْمُتَصَوِّفِينَ رَغْمَ كُونِي أَفْرَأَ لَهُمْ وَأَتَعَاطَفُ مَعْهُمْ.

□ مَرْحَ صَدِيقُكَ وَمَوْاْطِنُكَ إِيْوُنْسْكُو يَقُدِّمُ الْإِنْسَانَ تَحْتَ عَلَمَةِ الْعَبْثِ وَالْقَرْزِمِيَّةِ، وَبِظَهَرِهِ أَنَّهُ
يُكَذِّبُ نَظَرَيَّةَ الْإِنْسَانِ الْمُتَفَوِّقِ نِيتشِهِ وَيُخْرِجُهُ مِنْهَا. فَهَلْ تَشَاطِرُهُ الْإِحْسَاسَ نَفْسِهِ؟

شِيرُون: بِالْتَّأْكِيدِ نَعَمْ! يَرْبِطُنِي بِإِيْوُنْسْكُو شَبَهُ كَبِيرٌ. وَهُوَ، رَغْمَ كُونِهِ يَاْيَشَا وَتَعْسَا، إِنْسَانٌ ذُو هَزْلٍ كَثِيرٍ. مَا
يَقُولُهُ عَنْ خَرَافَةِ الْإِنْسَانِ الْمُتَفَوِّقِ يَبْدُو لِي صَوَابًا، ذَلِكَ لَأَنَّ الْإِنْسَانَ ظَاهِرًا فَاشِلَةٌ لَا يَكُنْ لِغَامِرَتِهِ أَنْ تَتَنَاهِي بِخَيْرٍ.
وَقَدْ أَمْيَلَ إِلَى الْاعْتِقَادِ أَنَّ الْإِنسَانِيَّةَ سَتَتَنَاهِي إِلَى مَا دُونَ الْإِنْسَانِ. وَهَذِهِ النَّهَايَةُ أَوْ هَذَا الْمُسْتَقْبَلُ الْبَعِيدُ، كَمْ هُوَ
حَزِينٌ وَبَيْسِيٌّ! بِالْفَعْلِ، لَقَدْ أَخْطَأْتُ نِيتشِهَ حِينَ لَمْ يُدْرِكْ أَنَّ الْإِنْسَانَ غَفَلَ عَنْ كُونِهِ قَدْ أَعْطَى أَحْسَنَ مَا عَنْهُ. طَبَّعًا،
سِيَسْتَرِسِلُ هَذَا الْإِنْسَانُ فِي وَضْعِ اخْتِرَاعَاتٍ عَجِيْبَةٍ، لَكِنَّ عَلَى الصَّعِيدِ الْفَكْرِيِّ أَوِ الرُّوحِيِّ لَنْ يَقُولُ فِي أَحْسَنِ
الْأَحْوَالِ إِلَّا بِتَكْرَارِ مَا اتَّجَهَهُ مِنْهُ! أَبْدَأْ لَنْ يَقْدِمُ الْعَالَمُ صَوْفِيَّينِ مِنَ الصَّنْفِ الَّذِي وَجَدَ مِنْ قَبْلِهِ
وَالشِّعْرَاءِ، كُلَّ هَذَا يَقُولُ وَرَاءَنَا. طَبَّعًا لَا زَالَتْ هُنَاكَ أَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ يُمْكِنُ تَحْقِيقَهَا فِي حَقْلِ الْأَنْجَازَاتِ التَّقْنِيَّةِ،
وَهَزَّاتٌ أُخْرَى كَثِيرَةٌ سَتَحْدُثُ، وَلَكِنَّ لِيَسْ بِهَا وَلَا هَكُذا يَتَوَصَّلُ الْإِنْسَانُ إِلَى التَّفْوِيقِ وَالْتَّعْلَى. لَقَدْ بَدَأَ النَّاسُ
يَشْعُرُونَ بِأَنَّ الْمَغَامِرَةِ الْإِنسَانِيَّةِ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَؤْوِلَ إِلَى الْأَنْهِيَّا، وَلِرَبِّعَا مِنْ هَنَا تَأْقِيْتَهَا. وَالْمُسْتَقْبَلُ لَمْ يَعْدْ سُوِيَّ
كَلْمَةً عَقِيمَةً لَا تَثِيرُ اِنْدِفَاعًا وَلَا تَحْمِسَا.

□ حسب معاييرك للمستقبل، الماركسية، بالتجزء عن نماذجها ونحوها الحية، قد لا تكون في آخر المطاف إلا طوي أو نيلًا من سيادة الوعي الناضج؟

شيراون: كانت الماركسية ولا زالت طوي. إلا أنها أكثر من ذلك، من حيث إنها تمثل لجماهير كاملة صنفًا من الديانة. ومن الواضح أنها لم تتصر في العالم المسيحي إلا لأن المسيحية كانت في حالة تصدع وأفول...

□ يظهر أدنى أنك تحمل منها مجرد رؤيا للعالم أو ديانة!

شيراون: قد تكون أكثر من ذلك. غير أنّ أريد التأكيد على العنصر الذي يفسر حقًّا نجاحها الساحق وديمومتها، وكذلك كونها ما انفكّت تلعب دوراً أساسياً في مصير العالم، رغم إخفاقاتها هنا وهناك. وقد أزعم أننا كلنا، عن وعي أو لا وعي، ماركسيون. فالعمال والبورجوازيون، كمالاحظ كثيراً، يستعملون في غالب الأحيان المقولات ذات الصنف الماركسي... استنزاف الماركسية مسجل في افقها البعيد، غير أنه لن يحدث إلا بعد أن تنجو بآطراف العالم وتبرهن على أن أي بلد لا يستطيع ادعاء تجنّبها.

□ لكن ابن ترصد بذور اضمحلال الماركسية الضرورية وإن بعد أجله؟

شيراون: مصيبة الماركسية أنها تُعدُّ بأكثر مما يمكن أن تعطيه. لهذا كثيرون هم الماركسيون الذين تخيب آمالهم. والحقيقة، من جهة أخرى، هي الترجمة التامة للمعرفة. فإن تكون واعياً معناه أن تكون خائباً. وكل إنسان واع يتسمى إلى نظام أو دين ما يعرف الحقيقة في يوم أو آخر...

□ الأسلوب الشذري الذي تبنّاه ويهدر أدنك ثبوّاه، هل هو اختيارك الحر في الكتابة، أم هو طريقة للإفلات من الإكراهات التي يفرضها كل فكر فلسفـي نسقي صارم؟

شيراون: القضية بالنسبة لي بسيطة. بعد كتابي مخنصر التفسخ ، لم يعد اختيار الكتابة الشذري يعبر إلا عن عياء من تركيب الجمل ومن التحليل والبرهنة، الخ. إنه عبارة عن تنازل ليس أكثر ولا أقل. وفي الأخير استقر ذوقـي في هذا الشكل التعبيري الذي يتيح للمرء أن يترجم عن حالات مؤقتة ولحظات افعالية، واجهـاً عن حقائق مؤرخـة، جزئـية ومتـحـيـزة.

لإجابة الرد على سؤالك أقول بأن الشذرة عندي ليست هي كذلك، أو إن شئت فهي لا تولد أبداً من شيء. إنها في غالب الأحيان خاتمة تحليل أو فكرة مكتوبة توفر على القارئ عباء خطـيـ الفكر، فلا تعبـر إلا عن وداع الفكر. لذا لن تجد أي فيلسـوف جـدي كـارـسـطـو أو هـيجـل يكتب شـذـراتـ. أما نـيـتشـهـ فـكـانـ يـفـعـلـ ذلك بـسـبـبـ مـرـضـهـ.

□ لكن وراءك حـولـ هذهـ المـادـةـ تقـليـداـ كـامـلاـ، منـ مـارـكـ اوـرـيلـيوـسـ الىـ بلاـنـشـ موـرـورـاـ بـيـاسـكاـلـ وجـراسـيانـ وـسـنـغـورـ وـفـالـيـريـ وـغـيرـهـ!

شيراون: في ما يخصـنيـ، حـيـ للـتـعبـيرـ المرـحـ الخـفـيفـ الـظـلـ ولـلـاقـتضـابـيـةـ وـالـاختـصارـ هوـ الـذـيـ يـحدـوـيـ إـلـيـ تـبـيـنـ الشـكـلـ الشـذـريـ، وـهـذـاـ الصـنـفـ، عـمـومـاـ، مشـكـوكـ فـيـ تـارـيـخـ دـوـالـ طـوـراـ، بماـ انهـ يـعـرـعـ عنـ الـإـنـسـانـ فـيـ لـاـ اـسـتـمـارـيـتهـ وهـشـاشـهـ. ثـمـ ماـ الفـائـدـ مـنـ بـنـاءـ اـنـسـفـةـ لـاـ يـفـوتـهاـ اـنـ تـهـاـوـيـ وـتـضـمـحلـ!

اماـ عنـ التـقـليـدـ الـذـيـ تـذـكـرـهـ، فـهـارـكـ اوـرـيلـيوـسـ وبـيـاسـكاـلـ هـاـ حـقـاـ مـثـلـهـ الاـكـثـرـ جـدارـةـ، لـانـ فـيـ كـتـابـاتـهـ طـابـعاـ شخصـيـاـ حـادـاـ وـوـحـدـةـ مـقـامـ. وـهـذـاـ لـيـسـ حـاـصـلـاـ عـنـ فـالـيـريـ الـذـيـ خـلـفـ رـغـمـ ذـلـكـ شـذـراتـ جـيـلةـ جـداـ. اـمـاـ

جراسيان فإنه يهتم كثيراً بالتدليلات وعلى أي حال فالكتابه الشذرية لا يسعها إلا أن تستمد قوتها من رؤيا خاصة جداً للحياة... .

□ بما أن الكتابة الشذرية تقوم على قوة اللحظة والانفعال، فانها تخاطر بنفسها في التناقض والتكرار. وإن شئت، يمكنني ان استشهد في نصوصك بأفكار متناقضة او مكرورة.

شيراون: افضل الا تفعل ذلك، ما دام أني أافقك تماماً. التناقض ملازم للحياة نفسها، وبالتالي فإني لا أعتبر أي انتباه في كتاباتي. أما التكرار فإنه تأكيد وتعبير عن حالة ثابتة أو وسوسات. إني من مؤلء الناس الذين يتلقون الحياة كوسوسات.

□ لكن كل انسان حي مسكون بوسوس!

شيراون: نعم، ولكن هناك درجات، فمن الناس من يبدلون وساوسهم كما يبدلون قمصانهم. أما أنا فلا يستحوذ علي إلا وسوس واحد لا شريك له.

□ أفهم من هنا لماذا كتبت في مؤلفك اغراء الوجود نصاً كاملاً ضد الرواية، فلا شك عندي انك لن تكتب ابداً شيئاً اسمه قصة او رواية... .

شيراون: لن الفعل ذلك وإن هددتني برصاص المسدس. إني في تمام العجز عن كتابة رواية، أى أن أتصور عقداً وخلق شخصيات، وأن أصف واكثف، الخ.

□ هل أنت مسرور من كونك أصبحت تسهيوي فرقاء لا زال عددهم يتكاثر؟

شيراون: لا، او قل إني أؤثر أن أكون مجهولاً بدلاً من أعرف كثيراً. طبعاً حينما انشر كتاباتي، فإني أعرض نفسي على العموم. غير أني أعمل ما في وسعي لكي لا أسقط في جبال شهرة صاحبة، وذلك بتجنب الصحافة ووسائل الإعلام. لهذا، بعد خنصر التفسخ الذي تكلم الناس عنه قليلاً في البداية، قبلت طيلة ثلاثين سنة ان أكون تقريباً غير موجود. وفي رأيي أن الشهرة ليست شيئاً مرغوباً في حد ذاته، وتحوّل الى كارثة إن بحث المرء عنها وهو في طور الشباب. ذلك لأن قدرأً من العزلة ضروري للكاتب او المفكر. اضعف إلى هذا أنتانا لما غارس الكتابة برميin معها نوعاً من التعاقد، فإننا نكتب أولاً لأنفسنا.

□ بما انك لم تعط إلا باب فنك في شكل شذرات، او بعبارة مدرسية، خاتمات فإني اتصور أن كل ما كتبته سيقى.

شيراون: أني من مؤلء الذين يرون انه يلزم الاقلال في الكتابة. ورغم اني لم أكتب الا كثيناً قليلة فلن يبقى منها في الأخير الا بعض شذرات. واني لأميل الى مصادقة ياباني مجذون كان يبعث لي ببرقيات، وات لزياراتي من أجل أن يقول لي بللهجة اخافتي: «أيها السيد، انك خداع منافق!» فأجبته: «من الممكن ذلك، ولكن كيف؟» فرد عليه: «لانك بعد ان كتبت «إننا كلنا في قعر جحيم كل لحظة فيه معجزة»، وجب عليك أن تحجم عن الكتابة وترثك القلم جانباً» أفالاً تعترف معي ان اعتراض هذا الأحقن مشروع!!

فقرات مختارة

تفسير التردد

كل منا ازداد يقدر من النقاوة المقدرة لها ان تفسدتها المتاجرة مع الناس، التي هي خطيبة في حق الغربية. فكل منا يفعل المستحيل حق لا يرتدي الى نفسه. والآخر ليس قدرأ بل اغراء نحو التردد... عاجزين عن الاحتفاظ بآيدينا نقية وقلوبنا خالصة، فإننا نتدنس بالعرق الاجنبي ونتمرغ في وحل الإجماع، متعطشين للتفرز، متجمسين للتسانة. وحين نحلم ببحار متتحوله الى ماء مبارك، يكون اوان ارمائنا فيها قد فات، فيتحول فسادنا العميق جداً دون غرقنا فيها: العالم قد غزا عزلتنا؛ وأئل الآخرين فيما صارت لا تقبل المحو.

في سلم المخلوقات، وحده الإنسان يلهم التفرز المتواصل. التفور الذي توحى به الدابة نفور عابر؛ اذ انه لا ينضج ابداً في الفكر، في حين ان امثالنا يسكنون افكارنا ويتسربون في آلية انفصالتنا عن العالم لتشييشنا في نظام الرفض واللانحراط، نظامنا، وبعد كل محاورة تشير رقتها لوحدها على مستوى حضارة، لماذا يستحبيل التأسف على الصحراء وان نغبط الباتات او متلوجرات عالم الحيوان اللامنتهنية.

اذا كنا بكل كلمة نحقق نصراً على العدم، فلكي نحسن تلقى سلطانه، اتنا نموت بمقدار الكلمات التي نرمي بها من حولنا... والذين يتكلمون ليس لهم اسرار، والحال اتنا كلنا متكلمون. اتنا نخون انفسنا ونستعرض قلوبنا، كل واحد منا جлад الامتنطق، يستميت في هدم الالغاز، بدءاً بالغازه هو. وإذا ما التقينا بالآخرين، فلكي نحط من قدرنا في سباق نحو الفراغ، اي اما بتبادل الافكار وبالاعترافات او بالمؤامرات. ان الفضول لم يثر السقوط الاول فحسب، واما ايضاً كبوات كل الايام العديدة. فليست الحياة سوى هذا التلهف للسقوط وتعمير توحدات الروح البكر بالمحاورة التي هي النفي السرمدي واليومي للجنة. وقد لا يكون على الانسان ان ينتصت الا لنفسه في شطح لا منقطع للكلمة الالامية، وان لا يصنع الا كلمات لصمته الذاتي وموافقات تلم بها حراته وحدها. غير انه ذلك التثار الكوني الذي يتكلم باسم الآخرين؛ فنانه يحب الجميع. والذي يتكلم باسم الآخرين هو دائمًا دجال. فالسياسيون والاصلاحيون وكل الذين يتحيزون للذرية جماعية غثاشون. كذب الفنان وحده ليس كلياً، بما انه لا يبتعد الا نفسه، وخارج الركون الى الاتصال والتارجح وسط انفعالاتنا الصماء، ليست الحياة الارجة في مدى لا عناوين فيه، وليس الكون الا هندسة مصابة بالصرع

«مختصر التفسخ»

دوار التاريخ

- 1 -

الأحداث إن هي إلا سرطان الزمان.

- 2 -

من آيات التطور ان بروميثيوس في ايامنا لن يكون سوى نائب في المعارضة.

- 3 -

ان ساعة الجريمة لا تدق في نفس الوقت لكل الشعوب. هكذا يكون دوام التاريخ.

- 4 -

احب هذه الشعوب من المجنين، من كلدانين وآشوريين وما قبل كولبيين، وكلهم اصحاب الافلاس في التاريخ بحكم ميلهم الى السوء.

- 5 -

انتظروا مرور بعض الاجيال الاخرى لترى ان الضحك، المقصورة على بعض المربيدين، سيصبح كالشطح من قبيل المستحيل.

- 6 -

تطفّل امة حين تعجز عن التأثير بأجواء البواقن: الانحطاط هو موت الغيبة.

أقيسة المرارات